الى العنصر المادي، الذي له وزنه ايضاً. فثمن الدار في القرى أقل بحوالى ٣٥ الى ٤٠ بالمئة ممّا هو عليه في المدينة؛ وذلك لأن معظم الذين هاجروا الى المدن بقيت لهم قسائم احتياطية للبناء، ورثوها، او اشتروها؛ ولا ننسى ان عنصر التعاون بين الاصدقاء والاقارب يوفّر الكثير من المال والجهد على اصحاب هذه الدور. وأخيراً، لا ننسى ان المدارس الثانوية ذات المستوى الجيد موجودة بوفرة في القرى الكبيرة والتي تيّسر التعليم لطالبيه، دون الهجرة الى المدينة لطلب ذلك. وهناك موضوع آخر هامّ جداً، هو قضية الدفيئة الاجتماعية (social greenhouse). والقصد، ان العربي في اسرائيل لا يحسّ بالضغط السياسي والتمييز العرقي ما دام في حدود قريته؛ وانْ هو انتقل الى مدينة مختلطة، فان هذا الاحساس يهاجم ويستولي على انماط سلوكه. من هنا كانت الهجرة الى الناصرة أكثر من الهجرة الى عكا، انْ كانت الهجرة اختيارية؛ اذ لا يختلف مجتمع الناصرة عن مجتمع كفركنّا، او شفاعمرو، أو المكر. ولكن اذا كانت الهجرة قسرية، وقد حدث، فلا حول ولا، كما حدث لكثيرين من عرب الرملة واللد.

○ أرى في «الارض، الانسان والجهد» كتلخيص لجغرافيا «الروح»؛ والكتاب الثاني «القرية العربية الفلسطينية» عبارة عن جغرافيا، او طوبوغرافيا، القرية. بعد زوال هذه المواصفات الخاصة جداً التي تميّز قريتنا الفلسطينية عن غيرها، ما الذي يبقى لنا؟

ـ تبقى الارادة التي يجب ان تُبنى على الوعي بالجذور وضرورة التمسّك بها.

○ ما الذي تعدّه الآن؟

ـ سيصدر، قريباً، كتاب له علاقة بالجذور، بعنوان «جندا فلسطين والاردن في الادب الجغرافي الاسلامي»، يشمل دراسة لمعظم الجغرافيين والرحّالة العرب وغير العرب المسلمين، موثّقاً بخرائط مصمّمة، لكي يساعد على سبر اغوار جغرافية وتاريخ هذا الوطن في حقبة امتدت من الفتح الاسلامي وحتى العصر العثماني. والكتاب الثاني، وهو في طريقه الى الطبع، يشمل دراسة ٢٣٦ مقاماً لأنبياء وأولياء في فلسطين، درست فيه كل النواحي المتعلّقة بهذا الموضوع، لأول مرة، لتشمل كل فلسطين وليس جزءاً منها، على الرغم من اننا نؤيد الدراسات «الميكرو» للاماكن الصغيرة. ونرجو ان نكون بهذا قد أعطينا جذراً آخر من جذور هذا الوطن اسميناها «الذهنية الشعبية» التي تمسّكت، وتفاعلت، مع هذه المقامات، مستوعبة أنماط سلوكها تجاه المقامات من مصادر بعيدة في التاريخ حتى الحضارة السامية والسيرة النبوية والتقاليد التي رأت الغير يمارسها في مقاماتها. في هذا البحث، أحصينا حتى كل شجرة بقيت فوق قبر مقدّس، لكي تساعدنا في مسح ما يسمّى بالذروة التي يمكن ان تصل اليها احراج هذا البلد، انْ هي تركت دون قطع. فكل شجرة من هذه سُجِّل موقعها، وسجّل محيطها، وأطوال فروعها، وأحياناً نوع التربة التي نمت فيها، لكي يستطيع دارسو علم النبات ان يتوجّهوا، بعد هذه الدراسة، توجّهاً علمياً في هذا الاطار. وهناك كتاب ثالث تحت الطبع. وهو يعالج قضية أسماء المواقع الفلسطينية وتغيّرها خلال عهدين؛ اذ ما زال هذا التغيّر يأخذ طريقه في الخرائط التي تصدرها اسرائيل، وكل ذلك خوفاً على ضياع الهوية. درست جميع الخرائط التي اصدرتها جمعية الارض المقدسة المعروفة باسم Palestine Exploration Fund، والتي تختصر عادة بـ PEF، وهي خرائط أُصدرت في أواخر القرن الماضي؛ والخرائط التي أصدرتها حكومة الانتداب البريطانية؛ وكذلك الخرائط التي أصدرتها اسرائيل. وقورنت الاسماء في كل من هذه المجموعات من الخرائط، كي تحصى كل التغيّرات التي حدثت حتى تاريخ طباعة هذه الدراسة.

حاوره: رياض بيدس